وإذا نَـالَ الـفـتَـى مَـكْـرُمـةً كـانَ مِـنْ ذاكَ لَـديْـهـم غَـصَـصُ

وهو الآن ما بين الأربعين والخمسين من عمره، دامت فوائده. ثم (مات) رحمه اللَّه في شهر ذي الحجة سنة ١٢١٩ تسع عشرة ومائتين وألف. (ووالد المترجم له) هو من أعيان العلماء وأكابر الفضلاء، جامع بين الشريعة والطريقة، عارف بفنون من العلم لا سيما الحديث والتفسير. وله في التصوف والتسليك يدٌ طولى. قرأ على والده وعلى غيره، وأقرأ في جامع صنعاء في صحيح البخاري وغيره، وله في الوعظ يد طولى، وقد قعد لذلك في مواطن، فانتفع به الناس. ثم رحل إلى مكة واستوطنها بسبب أمور جرت له مشتملة على امتحانات. وهو الآن مقيم هنالك، وقد رغب عن الرجوع إلى اليمن. وهو وافر الجاه عند أهلها عظيم الحرمة رفيع الدرجة. وصار هنالك مأوى لمن دخل مكة للحج من أعيان أهل اليمن. وقد كتب إليّ كتاباً يتضمن المعاهدة، ولم يكن قد عرفني قبل ارتحاله إلى هنالك، لأني كنتُ إذ ذاك في أيام الصغر، وأنا رأيته مرة واحدةً يصلي بالناس في بعض المساجد بصنعاء فسمعت قراءة فائقة بصوت مطرب مع هيئة جميلة وشيبة منورة. وله مصنفات في الوعظ والرقائق والتصوف، وهي مشحونة بالفصاحة والبلاغة. وهو كان يستحق إفراده بترجمة ولكن اكتفيت بذكره ههنا. (ومات) ثاني عشر شوّال سنة ١٢١٣ ثلاث عشرة ومائتين وألف، ومولده سنة ١١٤١ إحدى وأربعين ومائة وألف. ومن مصنفاته (الفلك المشحون شرح أسماء من يقول للشيء كن فيكون)، شرح للأربعين الجوهرية. وله تفسير غريب الأسلوب سمَّاه (مفاتيح الرضوان في تفسير القرآن بالقرآن)، كتب منه مجلداً ضخماً. وجمع مجموعاً في ترجمة والده ذكر فيه مؤلفاته وشيوخه وتلامذته وقد وقفت على جميع ذلك، وولده (يُوسُف بن إبراهيم) ساكن عنده هنالك، وهو من المشتغلين بالعلم والزهد وسلوك طريق الخير والعبادة والاشتغال بأمر الآخرة. وله في الأدب مَسْرَحٌ قويٌّ. وهو أصغر من أخيه عَليّ المُترْجَم له. وقد خرج إلى صنعاء، وسمعت تلاوته، وهي تلاوة فائقة بنغمات رائقة. ورأيته يقرأ على عمّه عبد اللَّه بن مُحمَّد المتقدم ذكره في مدرسة الإمام شرف الدين بصنعاء، في صحيح البُخاري[1].

(٢٩٦)

(عَليّ بن أحمد بن رَاجِح بن سَعِيد)

وزير الإمام المنصور باللَّه الحُسَيْن بن القَاسِم. كان من محاسن الدهر في الكرم

(١) توفي يوسف بن إبراهيم ليلة الثلاثاء، لِستٍّ بقين من جمادى الأولى سنة ١٢٤٤هـ/ ١٨٢٩م. وكانت ولادته سادس عشر ذي الحجة سنة ١١٧٥هـ/ ١٧٦٢م.

والرياسة والكياسة، وله ولأخيه مُحسن بن أحمد رَاجِح قصص في الكرم يتناقلها الناس إلى الآن، ويضربون بها الأمثال. ولشعراء عصرهما فيهما غُرر الممادح. وكانا مُستوليين على المنصور باللَّه لا يعمل، إلَّا بما قالاه، ولا سيما صاحب الترجمة، فهو الوزير الأعظم الذي لا يقع في المملكة شيء إلَّا بإذنه ومفاوضته. واستمر كذلك مدة خلافة المنصور. وكان ملازماً له قبل الخلافة. ولما مات المنصور، وقام بعده الإمام المهدي نكب صاحب الترجمة وأخاه المذكورين، وأخذ من أموالهما شيئاً كثيراً. فأما صاحب الترجمة (فمات) بعد ذلك بأيام يسيرة في سنة ١١٦٣ ثلاثٍ وستين ومائة وألف، فبقي لورثته دنيا واسعة، ووقف ثلث تركته على العلماء والمحاويج، وهو جمهور واسع، وصارت الآن صدقة جارية على المستحقين يحصل منها في كل عام شيء واسع. وأما أخوه فتأخر موته إلى سنة ١١٧٣ ثلاثٍ وسبعين ومائة وألف.

(٢٩٧)

(عَليُّ بن أحمد بن سَعِيد بن مُحمَّد ابن سَعِيد بن الأثير الحلبيّ الأصل المِصْريّ)

ولد في حدود الثمانين وستمائة، وتعانى الخدم الديوانية، وكان أبوه من الأعيان المُوقّعين. وباشر الديوان وكتب الإنشاء، فلما توجّه الناصر إلى الكَرك توجّه صحبته، ووعده بكتابة السِّرِّ، فلمَّا قدم الناصر القاهرة قدَّم له علاء الدين حَلْوَى بمائة وعشرين درهماً باع لأجل شرائها بعض متاعه، فلمَّا وصلت الهدية إلى الناصر تذكّره وقال لدويداره: اكتب إلى مُحيي الدين بن فَضْل اللَّه يكتب إلى أخيه شهاب الدين دستوراً إلى الشام، فإني أستحي أن أواجهه بذلك، فكتب مُحيي الدين إلى أخيه فلم يلتفت إليه، فلما بلغ السلطان ذلك لم يجد بدّاً أن يفصح له بالأمر، فرسم له أن يستقيم في كتابة السرِّ بدمشق عوضاً عن أخيه، فخرج من القاهرة إلى دمشق واستقرَّ صاحب الترجمة مكانه، فعظمه السلطان وأكرمه ونوَّه بقدره، وبلغ عنده ما لم يبلغه غيره حتى كان يأمره أن يكتب إلى نواب الشام بأشياء يأمرهم بها عن نفسه، فعظم قدره جدّاً، وباشر الوظيفة مباشرةً جيدةً، وكان يركب في ستة عشر مملوكاً من الأتراك كل واحد منهم قيمته أكثر من خمسمائة دينار. وكانوا يقومون بالديوان سِماطين ولا يتكلم مع أحد منهم إلّا بالتركية، وهم يترجمون عنه للناس. وكان يكتب خطّاً قويّاً منسوباً، وله اقتدار على إصلاح اللفظة وإبرازها من صورة إلى صورة. وما كان يخرج من الديوان كتاب حتى يتأمله، ولا بد أن يزيد فيه شيئاً. وقد مدحه شعراء عصره كالشِّهاب مَحْمُود، وابن نباتة، وغيرهما. ولم يزل في سعادته إلى أن حصل له مبادئ فالج، ثم تزايد به وظهر ذلك للسلطان فصبر عليه إلى أن أراد يوماً أن يقوم من بين يديه فسقطت